سنة أولى ماستر تاريخ الغرب الاسلامي: مقياس: **الأنثروبولوجيا والتاريخ**

المحاضرة 01

تعريف الانثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا (علم الأناسة) هو العلم الذي يهتم بدراسة البشر وتاريخهم التطوري، وسلوكهم، وكيفية تكيفهم مع البيئات المختلفة وتواصلهم واختلاطهم معا. في وقد وجد الباحثون صعوبة في صياغة تصور واضح لماهية الأنثروبولوجيا اعتمادا على موضوعها وحده، الذي هو الإنسان، بسبب أن الإنسان هو مادة وموضوعا لعدة علوم أخرى كالتاريخ والأحياء وعلم النفس واللغة والاجتماع.

لكن ميزة الأنثروبولوجيا هي الشمولية في مقاربة هذا الكائن وهي بذلك تنفتح على كثير من العلوم الأخرى، منها الأحياء والتاريخ والاجتماع والأدب والفلسفة، وشمولها جعل لها فروعا وتخصصات عدة، شديدة الثراء، فيها ما يتطلب بحوثا ميدانية، ومنها ما يتطلب جهودا تحليلية، ومنها ما يتطلب أبحاثا معملية.

. تعريف التاريخ وعلم التاريخ:

احد تعريفات التاريخ ينص على أنه: دراسة للتطور البشري في جميع جوانبه السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والفكريَّة والروحيَّة، أيًّا كانت معالم هذا التطوُّر وظواهره واتِّجاهاته.مما يعني أن التاريخ هو مجموعة الحوادث التي ظهرت وسوف تظهر في حياة البشريَّة، وعلم التاريخ يهدف الى الإلمام بتلك الأحداث. وبعبارة أخرى: التاريخ هو وعاء الخبرة البشريَّة، وعلم التاريخ هو العلم الخاصُّ بالجهود البشريَّة، أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة على الأسئلة التي تتعلَّق بجهود البشريَّة في الماضي وتستشفُّ منها جهود المستقبل؛ فالتاريخ يتناول الأمَّة من الأمم بالتنقيب في طوايا فكرها ومدى ارتباط ذلك الفكر بالدنيا والحياة، ثم اتصاله بسيرة الإنسان في الأرض وجهوده المتَّصلة لرفع شأنه اقتصاديًّا وعلميًّا وفكريًّا، ومدى ارتباط ماضي الأمم بحاضرها، وحاضرها بمستقبلها.

. العلاقة بين الأنثروبولوجيا والتاريخ:

تتعامل الأنثروبولوجيا مع الإنسان بوصفه كائنا طبيعيا في الأساس لكنه متجاوز للطبيعة في بعض فعالياته خاصة العقلية والاجتماعية والقيمية. لذاك اعتبرتها مجموعة من علماء الأنثروبولوجيا علمًا طبيعيًا ، في حين وضعها بعض علماء الأنثروبولوجيا الأخرى كموضوع تحت العلوم الإنسانية. فالإنسان مخلوق اجتماعي يعيش في مجتمع يملي عليه معايير معينة. بدءا من العادة الغذائية (أي نوع من الطعام يجب أن يؤخذ والطريقة ذاتها لتناوله) ونمط اللباس وهيكل الأسرة وشكل الزواج والمعتقد الديني وما إلى ذلك. لذلك عندما يتصرف الإنسان ضمن مجموعة منظمة من الأقارب الاجتماعية ، فإنه يدخل في

مستوى جديد ، وهو أكثر أو أقل من نفسية وعضوية فائقة. وذلك ما يحرره نسبيا من جبرية الطبيعة البيولوجية. لذلك ارتأى مجموعة من العلماء اعتبار العلاقات الاجتماعية هي أساسًا نتاج تاريخ ، مرتبطة معًا بالقيم الأخلاقية وليس بالقوى الطبيعية. فنظروا بهذا المعنى إلى الأنثروبولوجيا بوصفها جزء من التاريخ.

في الواقع هناك علاقة وثيقة بين التاريخ والأنثروبولوجيا. حيث كل شيء في هذا العالم يتحرك في التاريخ وبواسطته حيث يتم حساب وجوده حسب عامل الوقت. هناك حاجة إلى نوع من التحقيق التاريخي من أجل فهم العوامل وعمليات التغيير.وبما أن الإنسان هو موضوع بحث أنثروبولوجي لا يمكننا المضي قدمًا على الإطلاق دون النظر إلى البعد الزمني.

يهدف كلا العلمين إلى كشف النقاب عن الأحداث غير المستكشفة لحالة حياة الإنسان، لكنهما يختلفان عن بعضهما في معالجة المشاكل. كل واحد منهم طور مبادئ منهجية خاصة به. التاريخ يهتم بشكل رئيسي بالأحداث. بينما تهتم الأنثروبولوجيا في تحديد الثقافة. وما يجمع بين التاريخ والأنثروبولوجيا هو اعتمادهما كلاهما على الأحداث في المسار الطبيعي للحياة البشرية. صحيح أن المؤرخين تقليديًا اختلفوا عن علماء الأنثروبولوجيا. حيث كان المؤرخون مهتمين بالفترات الماضية بينما كان علماء الأنثروبولوجيا مهتمين بالأشخاص البدائيين. لكن كلاهما يميل الى دراسة المشاكل المعاصرة للحضارات الحديثة في العالم.

وفيما يخص أهم النظريات الانثروبولوجية التي اهتمت بمجتمعات الغرب الاسلامي تعتبر النظرية الانقسامية من أشهرها واكثرها كفاءة رغم النقد الذي وجه لها من طرف المختصين:

النظرية الانقسامية:

يعود مصطلح الانقسامية Segmentarité حسب بول باسكون إلى علم الحيوانات Zoologie حيث توجد حيوانات تنقسم على نفسها إلى شطرين منفصلين قادرين على الحياة وقاس ذلك على المجتمعات التي تنشطر بصفة لا متناهية إلى أجزاء متشابهة يعاد إنتاجها باستمرار وبتكرار، وهذه الأجزاء قادرة على الانصهار والاتحاد لتكوين مجموعات أكبر تتنافس على أهداف معينة، تتميز بالتوازن وعدم تمركز السلطة، وهذا لا تستطيعه الحيوانات الانقسامية، تضاف لهذه الملامح، الهامشية مقابل المركزية والقدرة على المحافظة على الذات في مواجهة الأنداد، كما تقوم البنية الانقسامية على أهمية النسب (النسب القبلي).

. المقاربة الأنتروبولوجية للمجتمع المغربي على ضوء النظرية الإنقسامية:

يعتبر دوركاييم أول من استعمل مفهوم الإنقسامية لدراسة المجتمعات وتطورها، وذلك في أطروحته ‘‘تقسيم العمل الإجتماعي’’، وتتمحور هذه الأطروحة حول فكرة أساسية مفادها **أن المجتمعات تنتقل تدريجيا، عبر التطور التاريخي من أشكال التضامن الآلي إلى أشكال التضامن العضوي، أي من تضامن يؤسسه التشابه بين العناصر المكونة للمجتمع إلى تضامن يفرضه الاختلاف والتكامل اللذان يؤدي إليهما تقسيم العمل الملازم للنمو الديموغرافي.** ونجد أشكال التضامن

العضوي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية المعاصرة، في نحن نجد أشكال التضامن الآلي مجسدة في المجتمعات التقليدية من خلال النمط القبلي.

يعتبر **نموذج القبيلة** إذن، العنصر الأساسي الذي بنت عليه المقاربة الإنقسامية عملها، على إعتبار إنقسام القبيلة إلى وحدات صغيرة داخل نفس النسق، ويستمر هذا الإنقسام إلى اصغر وحدة، وهي العائلة. كما أن في داخل هذه البنية يتم تشكيل تكتلات تكبر إلى أن نصل إلى أعلى هرم والذي هو الكونفدراليات القبلية. وكل كتلة تسمى عشيرة لأنها تعبر عن طبيعة مزدوجة: عائلية وسياسية في آن واحد، والواقع أن هناك قرابة دم تجمع بين جل أفراد العشيرة، مما يخلق بينهم شعورا بأواصر القرابة. وأهم ما يميز هذه المجتمعات:

– ضعف تقسيم العمل (حسب الجنس وفئات العمر)

– أشكال جماعية للملكية (مشاع)

– تمركز الحياة الإجتماعية حول العلاقات العائلية

– قوة الوعي الجمعي، واعتناق الجميع لمنظومة قيم موحدة بسبب تشابه العناصر المكونة لهذه المجتمعات، كما أن الدين يقوم بوظيفة الضبط الإجتماعي.

وقد حددت النظرية الانقسامية الشروط التي ينبغي أن تتوفر في مجتمع ما حتى يوصف بأنه انقسامي بالعناصر التالية:

– أن يكون مجتمعا ذا نسب أحادي (أبوي أو أموسي)

– أن يكون مجتمعا مجزءا (مبدأ الانشطار)، تخضع فيه كل التقسيمات الأولية لتعادل بنيوي يفترض المساواة في المجالات الإقتصادية، السياسية، الثقافية والإيديولوجية

– أن يتجسد الإنقسام على مستوى المجال الترابي الذي يعيش فيه المجتمع، غذ لا يمكن إستعمال مفهوم الإنقسام بالنسبة لقبائل الرحل

– أن تكون العلاقات الإجتماعية ذات نمط إنقسامي، وأن تسوى النزاعات بين الأقرباء بالتراضي

– مبدأ التعارض والتكامل (الإنصهار، والإنشطار). إذ يشكل التعارض أساس البنية السياسية داخل المجتمع الإنقسامي، وبدون هذا التعارض يتعذر وجود القسمات العليا

تشكل بنية القرابة بنية إجتماعية أساسية (السلالة الأبوية) يعتمد عليها التنظيم السياسي العائلي للمجتمع الإنقسامي، وينتمي الأفراد في المستوى الأول إلى القبيلة، وينتمي الأفراد في مستوى ثاني إلى العشيرة، وأخيرا هناك السلالة لأنهم ينحدرون من جد واحد عبر سلسلة الأنجال الذكور.

ويعتبر الإنتماء العشائري هو محرك الصراع في هذه البنية فإذا دخلت قبيلة في صراع مع قبيلة أخرى فإن التحالف يتم بحسب الإنتماء إلى اللف أو العشيرة، وإذا كان هناك صراع بين فدراليات قبلية فإن العشائر من داخل كل فدرالية تنسى صراعاتها لتتحالف ضد الكونفدرالية الخارجية. فتتكامل بالتالي في هذه العلاقات النزعات الإنقسامية مع النزعات التحالفية في إطار دائري ينتج نفس العلاقات، وهذا ما يؤدي إلى توازن دائم داخل النظام.

. نقد المقاربة الانقسامية

على الرغم من الإحتياطات الكثيرة التي إتخدها كيلنر في مقاربته الإنقسامية للمجتمع المغربي، فإنه وقع في مزالق منهجية على حد تعبير الذين ناقشوا هذه المقاربة، بل وأنتقدوها بشدة عبد الله الحمودي، وعبد الله العروي، وجاك بيرك، الأول قام بدراسة نفس القبيلة التي درسها كيلنر واستشهد بمشاهداته وملاحظاته لنسف بعض من المقولات التي إعتبرها كيلنير أساسية في وصف المجتمع الإنقسامي، في حين لجأ بيرك إلى تفكيك مفهوم القبيلة لكي يدخل إلى نقد مقولة الإنقسامية لدى كيلنر. أما العروي فقد توجه إلى التاريخ ليستنبط منه حججه في نقذ هذه المقولة، وعاب على الدارسين الأنتروبولوجيين الأنكلوساكسونيين تغييبهم للجانب التاريخي في دراساتهم، كما عاب عليهم تغاضيهم عن مجموعة من المعطيات الموجودة في الواقع المدروس.

. أ- إسقاط النموذج:

نعني بذلك أن الانقسامية سقطت في فخ النموذج الذي كان دوركايم قد رسم معالمه فيما سبق واستكمل انجازه ايفا نز بريتشرد. ومن المعروف أن هذا النموذج تم توظيفه من قبل الانقساميين لدراسة القبائل المغربية. من ثمة اتجه النظر إلى اعتبار البنيات الاجتماعية المغربية مماثلة إلى حد كبير للبنيات الاجتماعية التي درسها بريتشرد.

ب- إهمال البعد التاريخي والتراتب الاجتماعي:

يضاف إلى ما سبق أن التناقض البارز الذي وقع فيه الانقساميون هو التناقض مع واقع القبائل التي قاموا بدراستها وهذا هو الذي أدى بهم إلى فصل القبائل عن سياقها التاريخي العام؛ واغفال صيرورة الأحداث المكونة لها إلى جانب القول بستاتيكية المجتمع المدروس، والإعراض عن دراسة التراتبات الاجتماعية جراء القول بالمساواة بين الأفراد فيما يتعلق بالحقوق.

ومثال ذلك أن بعض السلالات أو بعض الأسر تتمكن من أن تدلي بشجرة تشهد على انتسابها إلى جد القبيلة عبر سلسلة متصلة من الأجداد ؛في حين يتعذر ذلك على بعض الأسر الأخرى ولا تحظى ادعاءاتها النسبية باعتراف الجماعة.

ج- إهمال أشكال الملكية:

اهملت النظرية الانقسامية تحليل أشكال الملكية داخل المجتمعات القبلية؛ واغفلت تأثير الإسلام على نظام الملكية. وبالتالي تتهم بأنها عجزت عن تحديد أنواع التناقض بين أشكال الملكية.

د- نقد نظرية الجد المشترك:

حينما ركزت النظرية الانقسامية على مسألة الجد المشترك الذي تنحدر منه القبيلة فإنها بذلك جانبت الصواب كثيرا. فالجد المشترك المزعوم قد لا يكون جدا فعليا. ولتوضيح ذلك يرى الأستاذ حمودي بأنه بسبب الصراعات القبلية المستمرة يحدث أن تتغلب قبيلة ما على قبيلة اخرى فتستولي على أدوارها وممالكاتها فيتم إدماج المجموعات المغلوبة ضمن المجموعات الغالبة؛ ومنح أعضائها حق اللجوء والضيافة وفي نهاية المطاف إعطاء أسماء جديدة للمناطق التي تم إخضاعها، وبهذا الأسلوب يبرر الغزاة شرعية وجودهم واستحواذهم على أراضي القرية، كما يحاولون إعطاء صورة متجانسة بالنسبة للخارج عن المجموعة التي يشكلونها مع مستقبليهم.

إن الاهتمام بالجد المشترك يراد منه تحديد هوية المجموعة؛ والمساعدة على التمييز داخل المجموعة نفسها بين الأسلاف الفعليين والمزيفين أي بين الغزاة والخاضعين لهم، ولهذا السبب وحده لا يتم انتخاب رئيس القرية سوى من ذرية الجد

قسم التاريخ أ . العابد عبد الحميد

سنة أولى ماستر تاريخ الغرب الاسلامي: مقياس: **الأنثروبولوجيا والتاريخ**

المحاضرة02

1- الأسرة

تعدّ الأسرة القاعدة الأساس لتشكيل المجتمع الانساني منذ القدم، وتنتج عن طريق الزواج والولادة. يرتبط أعضاؤها بصلة قربى توصف بأنها صلة الرحم سواء أعاشوا تحت سقف واحد أم لا. وكان كلود ليفي ستراوس قد نبه في أطروحته *"القرابة في بناها الأولية"* على وظيفية الزواج في تحقيق التحالف بين الجماعات وذلك من طريق الزواج الخارجي وهو تبادل النساء بين

العشائر والبطون في نظام، ووصفه **بالمبدأ التبادلي** الذي يتضمن زيادة على ذلك تبادل الهدايا ودعوات العشاء وغيرها لأجل رعاية وتمتين العلاقات التحالفية. وقد عرفت المجتمعات تاريخيا أنواعا من الأسرة منها:

1. **الأسرة النواة أو النووية** وتتكون من أب وأم وأطفال أو زوجين بدون أطفال وهي السمة الغالبة حاليا في المجتمعات الحديثة ومنها المجتمعات العربية،

2 . الأسرة المشتركة: وتتكون من عائلتين نوويتين يجمعهما نسب مشترك كالأب مثالها: أخ وزوجته وأخوه وزوجته يعيشان تحت سقف واحد.

3 . **الأسرة الموسعة أو الممتدة**: التي يمكن أن تضم الأعمام والأخوال والعمات والخالات وأبناء العمومة وأبناء الخؤولة، ويشكل هؤلاء مع الأجداد والأحفاد أسرة ممتدة، وقد كانت لوقت قريب هي النموذج العام لمجتمعاتنا.

من أهم خصائص الأسرة الممتدة: سريان الثقافة الأبوية حيث يمارس الأب سلطة واسعة ويكون الزواج داخل القربى العائلية، أما المرأة فيجري تدريبها لتصبح مكرسة للواجب اتجاه زوجها، وقد عرفت هذا النوع من الأسرة الصين القديمة واليونان والرومان وطائفة الهندوس والمجتمعات العربية والإسلامية.

وظائف الأسرة:

تقوم الأسرة بعدة وظائف أهمها:

. تلقين الأجيال الجديدة الثقافة والأخلاق والدين وقيم الجماعة أو ما يسمى بالتنشئة الاجتماعية

. تمارس على أعضائها الرقابة والضبط الاجتماعي حسب ثقافة كل مجتمع والقيم السائدة داخل كل أسرة.

2 . القرابة والنسب

يعرف النسب بأنه: "رباط قرابة يتعلق بجد مشترك عن طريق الدم ". فالدم هو أساس تشكيل العلاقة سواء أكان أعضاء الجماعة القرابية يسكنون في مسكن مشترك أم كانوا منتشرين في أماكن شتى، فالذي يجمعهم هو الرباط العصبي المتولد من القرابة ووحدة النسب والذي يتحول في كثير من الأحيان من رابط طبيعي إلى واقع ثقافي يحدد المفاهيم وطرق التصرف.

لكن قرابة الدم وحدها لا تكفي باعتبارها واقعة بيولوجية بل لابد لها من قرابة المصاهرة الناتجة عن ظاهرة اجتماعية هي الزواج سواء أكان داخليا أم خارجيا حيث تحدد قواعد الزواج وعلاقات التبادل كما يراها ليفي ستراوس مجموعات الانتساب. يجعل الزواج من الأصهار أقارب مباشرين وهو بهذا يجعل الفرد عضوا في جماعتين قرابيتين في وقت واحد بشكل

يؤدي إلى توسيع دائرة القرابة أكثر من خط القرابة الأبوي أو الأمومي. وهذا النظام يؤدي إلى تكثيف روابط القرابة داخل المجتمع. وعن طريق هذه الصلات **تظهر الجماعات التضامنية من الأسرة الصغيرة إلى الأسرة الكبيرة إلى القبيلة.**

كما توجد آلية أخرى في توسيع علاقات القرابة هي **التبني**، حيث **يستبدل التبني قرابة طبيعية بقرابة اجتماعية**، وقد كان شائعا هذا عند العرب من اعتبار المتبنى عضوا طبيعيا داخل الأسرة له كامل حقوق وواجبات أفرادها لكن بمجيء الإسلام نسخ الأمر وحرّمه، لأنه دخول نسب دخيل في نسب أصيل لكن أبقى على روابط أخرى كالحلف والولاء والإجارة التي سنتطرق إليها لاحقا.

يختلف النسب في المجتمع البدوي عنه في المجتمع الحضري، ففي المجتمع البدوي عادة ما يكون الزواج داخليا وهذا ما حفظ الأنساب من التلاشي.وذلك بسبب الظروف الطبيعية القاسية العازلة. هذا التقسيم لأشكال المجتمعات تبعا لنظام القرابة يعيدنا إلى مفهوم النسب وتقسيماته، فهناك النسب العام والنسب الخاص، فيرجع **النسب العام** إلى نسب مشترك **هو جد حقيقي أو افتراضي** تنسب له المجموعة سواء أكانت فخذا أم بطنا أم عشيرة يجعلهم هذا الانتساب يلتزمون بنصرة من يشترك معهم في النسب الذي يمثل هويتهم الجماعية. أما **النسب الخاص** فهو **التعصب للأقارب** وذوي الأرحام كأبناء العمومة والخؤولة فيلتزمون بنصرة من يشترك معهم في البيت والفصيلة.

3 . الشرف والحسب:

الشرف هو **مجموعة الخلال الحميدة التي تمنح الفرد والجماعة مكانة محترمة ورأسمالا علائقيا واجتماعيا**، فهو قيمة مركزية. ويجمع الشرف فخصال عدة كالشجاعة والكرم والضيافة وحماية الضعيف والعدل والثأر. وهو بذلك يضع صاحبه في مكانة مرموقة داخل مجموعته قد تؤهله لرئاستهم. اذ يعتبر الشرف احد شروط رئاسة شخص على مجموعة ما في بعض المجتمعات، وبقدر حفاظ صاحب الرئاسة على هذه الخلال يستمر في الرئاسة.

4. القبيلة:

هي أكبر وحدة قرابية في المجتمع العربي، **تقوم على انتساب عدد من العشائر إلى سلف واحد مشترك هو الجد الأعلى**، وعادة ما يكون **افتراضيا وتنسب حوله الأساطير**، وهذا الاعتراف بالانتماء إلى سلف واحد يجعل العشائر تحافظ على ولاء أسمى للقبيلة حتى ولو كانت تتمتع باستقلال نسبي في أمورها الحياتية وقراراتها. ويزيد جاك بيرك عناصر أخرى في تكوين القبيلة حيث يرى: "أن القبيلة لا تنمو فقط عن **طريق الاندماج** (أي علاقات النسب) بل كذلك عن **طريق التجميع** الذي يقع بسبب تنقلات الغزاة أو تيهان الهاربين، وحركات التوسع والانكماش التي يعرفها الاقتصاد الرعوي وتكاثر واختلاط المجموعات". فالقبيلة هي مجتمع حقيقي واقعي يملك ويستغل أرضا أو قطعة من الطبيعة، يدعي ملكيتها بالغزو أو الوراثة، وأن القبيلة مستعدة للدفاع عن أرضها ولو بالقوة.

وظيفة القبيلة:

. توفر القبيلة إطارا **لهوية مشتركة** لأبناء عشائرها وترتب **حقوقا والتزامات** على الأفراد المشتركين فيها.

. تؤمن القبيلة التضامن الاجتماعي بين أفراد عشائرها في الملمات والمهام التي تقتضي التعاون كالأعراس والجنائز والصراعات والثأر.

. تنظيم النشاط الاقتصادي للعشيرة فوق الأرض التي تملكها

. المشاركة في النشاط السياسي عبر مجلس القبيلة.

وعلى العموم فإن انتماء هذه المجموعات إلى نسب مشترك حقيقيا كان أم متخيلا يميزها عن المجموعات الأخرى، ولعل مقولة: "أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب" أفضل تكثيف للعلاقة بين أفراد القبيلة.

نماذج عن تصور ماهية القبيلة في النظرية الانقسامية

– القبيلة عند ارنيست كيلنر:

انطلق كيلنر في دراسته لقبائل الأطلس من أولية أساسية حكمت توجهه النظري العام وأيضا المنهجي، فالمجتمعات القبلية البربرية في الأطلس ذات نسب أبوي **تنعكس أبعاده وعلاقاته القرابية على المجال الجغرافي**، بحيث نجد أن لكل قبيلة مجالها الخاص، ونشطر القسمات فيما بينها بفعل التعارض ونشوب نزاعات قد تتطور فتصبح دموية حسب الظروف، كما أنها تنصهر فيما بينها عند ظهور مستجدات معينة.

كما يشير إلى وجود التنظيمات السياسية داخل القبائل مثل **الأعيان** الذين يقومون بالتحكيم في أوقات النزاعات، ويشرفون على الانتخابات التي تنبني بدورها على مبدأ التناوب والتكامل، ومثل **الصلحاء** اصحاب البركة" حيث يلجأ القتلة إليهم لطلب الوساطة والعفو، كما يتكفلون بضمان أمن الحدود، ويشرفون على الانتخابات والأسواق والمواسم".

و التنظيم القبلي عنده منسوج بواسطة رابطة الدم كعامل أساسي لضبط العلاقات بين قسمات المجتمع، فكل الأصول تنتهي إلى جد مشترك يتحدد به انتساب القبيلة. غير أن كيلنر لم يكن هو الوحيد الذي درس المجتمع القبلي البربري ومؤسساته الاجتماعية بل هناك أيضا دفيد هارت الذي ركز على المبادلات التجارية وغيرها لقبيلة آيت ورياغل وهي قبيلة بربرية ريفية.

– القبيلة عند ريمون جاموس:

حاول ريمون جاموس إبراز المعالم الثقافية لإحدى المجتمعات القبلية البربرية المتمركزة بالمنطقة الشرقية للريف (الأقليعيون)، ومساهمته هذه لا تخرج عن سياق النظرية الانقسامية، لقد أراد الكشف عن طبيعة البنيات المجتمعية والنسق القيمي المنظم للعلاقات التي تربط بين الأفراد والجماعات.

إن الاقليعيين يميلون إلى الاستقرار والتشبث بالأرض على الرغم من العوامل والظروف الطبيعية غير الملائمة والباعثة على الهجرة والتنقل، **وهذا التشبث بالأرض أقوى وأشد عندهم من القرابة**، لذلك اهتم جاموس **بأولوية المكان الجغرافي** عوضا عن **النسب الذي يعتبره معطى تابعا وخاضعا لروابط المكان**، كما ركز على **ملكية الأرض** باعتبارها شرط لامتلاك **مراكز النفوذ والسلطة** والمكانة الاجتماعية المتميزة داخل القبيلة، وبالرغم من هذه المكانة الاجتماعية التي تخفي تراتبا هرميا داخل القبيلة، فإن جاموس يعترف بوجود نوع **من المساواة داخل الأسرة**.

5 السلطة والرئاسة:

ثمة علاقة وثيقة بين السلطة والرئاسة بحيث يتعذر علينا احيانا التفكير برئاسة من دون سلطة او سلطة بغير رئاسة. يقابل مفهوم الرئاسة عدة كلمات كالمشيخة أو الزعامة أو الإمارة أو القيادة. وتعني السلطة التي يمارسها فرد او مؤسسة على مجموعة **بمقتضى شرع، قانون، تقاليد وعادات وحتى بمقتضى الغلبة والقهر والهيمنة**. ويكون له الصلاحية على إقليم معين ويمتلك حق اللجوء للقوة للحفاظ على النظام الداخلي والدفاع ضد خطر خارجي، وله ممارسة التحكيم بين المصالح الفردية والمشتركة وممارسة الضبط الاجتماعي، كما يحتكر لنفسه حق العنف المشروع فلا يحق لأية مجموعة أو أفراد باستعمال العنف ضد الآخرين. ويتم ذلك بواسطة قوة التأثير التي يمتلكها الزعيم والشيخ و.. وهي تصدر عن الخصائص والمواهب الشخصية سواء الجسمية او العقلية أو الخطابية أو الاجتماعية. فهذه العلاقة بين مؤسسة السلطة والجماعة هي علاقة **سيطرة وخضوع واعتراف**. بهذا المعنى **هي منصب سياسي واجتماعي يتبوؤه القائد أثناء تفاعله مع غيره من أفراد الجماعة "الأتباع"**.

مايجب أن يتوفر في الرئيس للوصول الى السلطة:

. النسب الصريح: أي قرابة دموية ممتدة خلال أجيال في الزمان والمكان، فرئيس القبيلة **يجسد التضامن القائم** على عصبية القرابة وينتمي إلى نسب مهيمن، وهذا التعصب للأقارب يسبق الدفاع عن أية مصالح أخرى وهذا بإيعاز من التقاليد القبلية والأحكام الدينية لأن الأقارب هم أتباعه وأشياعه الأولون يدفعونه إلى السلطة فيتحقق لهم الجاه والرفاه على المستوى المحلي ثم تصل فائدته إلى بقية القبيلة فيدافعون عنها.

. الحسب الشريف: هو **التمتع بالخصال الحميدة** التي تخدم مصالح القبيلة كالكرم والشجاعة والحكمة والدفاع عن المستضعفين اضافة الى **امتلاك الحكمة والتجربة وسعة الثروة**. وبذلك يكون قادرا على تمثيل مصالح الجميع.

. الشخصية الكاريزمتية: وتتمثل فيقوة شخصيته وتمتعه بالخصائص القيادية الفريدة أو التأثير السحري أو الإيحاء وقدرته على صنع الخوارق التي لا يقدر عليها الإنسان العادي.

وكثيرا ما تؤدي هذه الشروط الى صناعة أرستقراطية قبلية وراثية تركز بين يديها بعض الوظائف الحيوية في وقت السلم والحرب كتقسيم الغنائم، إصلاح ذات البين، إجارة المستجيرين، التحمل باسم القبيلة ما قد يرتكبه أفرادها من أخطاء، إبرام الصلح، تعيين مواضع الرعي ومواعيد الحل والترحال وعقد الاتفاقيات مع القبائل الأخرى، وهناك وظائف يختص بها شيخ القبيلة لكونه حافظا للأنساب وتعيينه من قبل بعض الحكومات كوسيط مقبول بينها وبين القبائل البدوية النافرة من السلطة المركزية.

5 . العرف:

هو مجموعة من المعايير والمقاييس أو المفاهيم ذات الطابع الاجتماعي تكون محل اتفاق بين تكون عادة غير مدونة وتتخذ طابع "القانون غير المكتوب".

قسم التاريخ أ . العابد عبد الحميد

سنة أولى ماستر تاريخ الغرب الاسلامي: مقياس: **الأنثروبولوجيا والتاريخ**

المحاضرة 03

القرابة و السلطة في النظرية الخلدونية:

أ. القرابة والعصبية:

يذهب ابن خلدون الى''أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل، و من صلتها النعرة على ذوي القربى و أهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو يصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العدا عليه و يود لو يحول بينه و بين ما يصله من المعاطب و المهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا''. إذن فالتعصب يشتد أو يخف بحسب درجة القرابة، بحيث يكون أشد كلما كان النسب قريبا، فالنسب يخلق الانتماء الفعلي إلى جماعة معينة و المعاشرة لها وربط مصالحها بها و الدفاع عنها وجلب المنافع. ثم تتمدد العلاقة من النسب القريب الى النسب البعيد بواسطة الحلف و الولاء.

إن القرابة إذن هي قاعدة العصبية الخاصة التي تمثلها الجماعة القبلية، وإذا اجتمعت للقبيلة العصبية والرئاسة كان توقانها إلى السيطرة على العصبيات الأخرى كبيرا و كانت غايتها القصوى هي التحول إلى عصبية عامة بحكمها تكون الدولة، بعد أن تتحول السلطة المحلية إلى سلطة مركزية أي بعد أن تصبح الرئاسة ملكا.

ب– العصبية والرئاسة:

تتركز السلطة في يد المشايخ لما وقر في قلوب الناس لهم من احترام، وتتجسم هذه السلطة المحلية في استنفار فتيان القبيلة عند المدافعة أو المطالبة، وتتحول إلى قوة غايتها الملك، و الملك هو التغلب والحكم والقهر، وهو يتوق دائما إلى أن يكون ملكا تاما، أي أن يكون سلطة لا تخضع إلى سلطة فوقها بحيث تستعبد الرعية، وتجبي الأموال وتبعث البعوث، وتحمي الثغور.

وما دام مطلوبا فيمن يتولى الرئاسة على المستوى القبلي أن يكون ذا:

. **نسب صريح:** فإن منصب الرئاسة ليس **بفائز به إلا من كان ذا قرابة دموية قوية** ذلك أنه حتى يكون النسب الصريح متوافرا لا بد من هذه القرابة أن تكون ممتدة خلال أجيال في الزمان، مما لا يدع شكا لدى أفراد القبيلة في أن المؤهل للرئاسة مرتبط بالقبيلة أبا عن جد، **وأن مورفولوجيا القبيلة ذاتها تقدم من خلال أضرحة أمواتها الأدلة القاطعة على ذلك.**

. **حسب شريف:** معناه التمتع بالخلال الحميدة التي تخدم الصالح العام للقبيلة

. **كثرة الأتباع والأشياع:** ولا يتوفرون إلا لمن كان ذا قرابة دموية قوية بافرادها. يدفعونه إلى السلطة حتى يتحقق لهم الجاه والرفاه على المستوى المحلي فتصل فائدته إلى بقية القبيلة فيدافعون عنها. والأقارب الأكثر عددا والأسهل التحاما هم السباقون إلى الدفاع عن المصلحة أو المطالبة بها، فلا يبقى من بد غير الالتحام بهم فتكون العصبية، فإن اتسع نطاقها وأخضعت غيرها لسلطاتها قويت شوكتها بما ضمت من عصبيات لها، فتحولت الرياسة كسلطة محلية إلى الدولة كسلطة مركزية، بتحول العصبية من خاصة إلى عامة.

ج– من الرئاسة القبلية إلى السلطة السياسية:

الرئاسة وإن كانت سؤددا وان صاحبها متبوعا، إلا أنه ليس له على غيره قهر في أحكامه، على خلاف الملك الذي هو التغلب والحكم بالقهر فالتغلب الملكي غاية للعصبية. وفي هذا الصدد ينص ابن خلدون أنه"حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالا و أنظارا و لكل واحدة منها التغلب على حوزتها وقومها ...وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا وزادتها قوة في التغلب إلى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الأولى وأبعد و هكذا دائما حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة فإن أدركت الدولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها". ولا ينتهي تضارب المصالح والصراع إلا بسيطرة عصبية غالبة قاهرة تسلمها العصبيات المغلوبة أمرها وتخولها الدفاع عن مصالحها معترفة بالسلطة التي تمثلها داخل العصبية الغالبة الأسرة (أو القرابة) الحاكمة. إذن ينتهي أمر الصراع العصبي إلى أن تصبح قرابة ما هي الحاكمة تتدرج تحتها، ضمن هرم الدولة، القرابات من أقواها إلى أضعفها، حتى تكون القاعدة لا تشكلها إلا القبائل المستضعفة التي لا وزن لها في حلبة الصراع، وهي في تفرقها أكبر عددا، لا تتجاوز ضعفها إلا بالتلاحم والتعصب والالتفاف حول أسرة من بينها تكون أهلا للرياسة و القيادة تولبها لتكون أقوى في صراع جديد غايته الملك.

. **علم العمران الخلدوني : البذور الحنينية لأنثروبولوجيا سياسية:**

استمد ابن خلدون نظريته في العمران البشري من ثلاثة مصادر معرفية: الثقافتين اليونانية والعربية الإسلامية، ثم ملاحظاته السياسية والاجتماعية. وصاغ نظريته ضمن القوالب الأرسطية – الأصولية التي كرستها طريقة المتكلمين والفقهاء والتي تميزت بدمج المنطق الأرسطى والمفاهيم الأرسطية في الدراسات الإسلامية الكلامية والفقهية. أضف إلى ذلك فإن ابن خلدون ربط دراسة الدولة بمواضيع مركزية في الأنثروبولوجيا السياسية : **القرابة والدين والحياة الاقتصادية** وعالج أفكاره بمفاهيم مازالت الأنثروبولوجيا السياسية الحديثة تعيد صياغة نظرياتها نسبيا بها، معتمدا في كل ذلك على الإمكان الواقعي وعلى التجربة الحسية واستقصاء الأخبار من مصادرها الشفوية والمكتوبة بالصورة التي تقرها موضوعية عصره و ثقافته.

يحتوي **علم العمران البشري** في النظرية الخلدونية على نظرية **العصبية والدولة**، بوصفها نظرية سياسية في الاجتماع الإنساني من وجهة نظر تاريخية واقعية من خلال التفكر في الطريقة التي مورست بها السلطة السياسية فعلا مستنطقا التاريخ وجامعا منه المادة الأولية لنظريته السياسية وبذلك **انطلق من التاريخ إلى علم العمران**، متوخيًا تفسير الظاهرة العمرانية ككل، مركزا على معرفة السبب الذي يجعل الدول تقوم، ثم تزدهر، ثم يداخلها الانحلال، تحت ضغط عوامل موضوعية، لا تملك الإرادة الإنسانية أن تطالها بالمنع والتغيير. من ثمة درس ابن خلدون **الدولة بوصفها الجهاز الذي يمنح العمران البشري كماله** ويعين وجوده. وظل مستحضرا شمولية العمران و ترابط بناه ترابطا عضويا ضروريا لممارسة وظائف الاجتماع. واستخلص في نظريته عمرا للدولة يمر بثلاثة أطوار هي: طور **التأسيس** والبناء وطور **العظمة** والمجد **وطور الهرم** والاضمحلال.

وقد فرق ابن خلدون بين **أنواع السلطات السياسية** أو الحكم، وقسمها كالتالي:

. **الملك الطبيعي**: و عرفه بأنه''هو حمل الكافة على مقتضى الغرض و الشهوة''

. **الملك السياسي**: هو'' حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار.

. **الخلافة الدينية**: و هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية و الدينية الراجعة إليها.

وقد خلص ابن خلدون في دراسته للدولة العربية الإسلامية الى أنها كانت في جوهرها أي في هيكلها وتركيبها وديناميتها الداخلية، **دولة طبيعية أي دولة الشوكة والعصبية، أما مظاهرها فكانت دينية.**